University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السادس والخمسون / فبراير / 2022

دور المماليك البحرية في تصدي الحملة الصليبية السابعة (1248–1254م/ 646– 652هـ)

د.سليمان يحي عبدالله بوحويش / قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة طبرق /

University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السادس والخمسون / فبراير / 2022

دور المماليك البحرية في تصدي الحملة الصليبية السابعة
(1248–1254م/ 646– 652هـ)

الملخص:

كان للملك الصالح أيوب الفضل في زراعة بذور دولة المماليك الأولى، حينما استقدمهم صغاراً، وأعدهم إعدادا وفق قواعد صارمة، وأصبحوا فيما بعد حكاماً وسياسيين يتولون الوظائف العليا، ومن الطبيعي أن يزداد نفوذ المماليك بعد أن صار منهم الجيش والقادة، وارتفع شأن المماليك البحرية وانبهر الناس بهم وبأعمالهم البطولية التي حفظت البلاد.

أزدى المماليك خدمة للملك الصالح أيوب، بأن حافظوا على ملكه الذي آل إليهم فيما بعد من الطامعين به سواءً كانوا حكاماً لبلاد الشام، أم صليبي الحملة الصليبية السابعة 1250م.

انتهى حكم الأيوبيين في مصر، وانحسر وجودهم هزيلاً في بلاد الشام؛ نظراً لصراعاتهم الداخلية؛ مما أفقدهم مكانتهم ومبررات بقائهم، كما ظهر الدور الرمزي للخلافة العباسية التي أعطت استقلالية وحرية كاملة للمماليك البحرية.

وظهر جلياً عجز أوروبا ممثلةً في ملك فرنسا عن تحقيق أهدافها، ثم كان انتصار المماليك على المغول في معركة عين جالوت 1260م/658هـ، الذي وضع حداً لمطالبة الأيوبيين حكم مصر، وتم الاعتراف بالسلطان المملوكي كسيادة عامة على البلاد من قبل الأمراء الأيوبيين، وأسس المماليك إمبراطورية إسلامية كانت من أقوى وأغنى الإمبراطوريات في ذلك الوقت عام 1250–1517م، في مصر وشمال أفريقيا وبلاد الشام والشرق الأدنى.

الكلمات المفتاحية : المماليك – الحملة الصليبية السابعة – بلاد الشام .

The role of the Bahri Mamluks in facing the Seventh Crusade
(1248- 1254AD/ 646-652AH)

D.Suliman Y.A. Bohwish

Abstract

The good king Ayoub was the main reason of planting the seeds of the first Mamluk state, he brought young slavesand prepared them according to strict rules, and they became rulers who occupied high positions, and the influence of the Mamluks increased, after they shape the main part of the army, especially many army leaders are from the Mamluks, thus they rose in status with their heroic actions.The Mamluks serviced the good king Ayoub, through preserving his king, from avaricious menwho were whether the rulers of the Levant, or the crusaders of the Seventh Crusade 1250 AD. Due to the internal conflicts andthe symbolic role of Abbasid Caliphate, the Ayyubid rule ended in Egypt, and became a weakness in the Levant. Thus, Navy Mamluks became independent.Europe's inability (represented by the

King of France) to achieve its goals and the Mamluk victory over the Mongols at the Battle of Ain Goliath in 1260, were the key reason for ending the Ayyubid claim to Egypt, and the Mamluk sultan was recognized as general sovereignty by the Ayyubid princes and established an Islamic empire, which was one of the strongest and richest empires of 1250-1517 in Egypt, North Africa and the Levant.

Key words : Mamluk - the crusaders of the Seventh Crusade - the Levant .

المقدمة:

يعتبر تاريخ مصر حافل بالدول التي تعاقبت في حكمها، ومنها الدولة الأيوبية (1174-1250م/569-648هـ)، التي كان آخر ملوكها قوة الملك الصالح نجم الدين أيوب قد استقدم المماليك أسوة بمن سبقوه وأطلق عليهم لقب المماليك البحرية.

ولما للمماليك البحرية من مكانة خاصة مكنتهم من السيطرة على مقاليد الحكم في دولة الملك الصالح أيوب، وثلتوا حكمه، ثم آلت إليهم أمور الدولة فيما بعد؛ لذا كان أمر دراستهم جديراً بالبحث والتمحيص،إضافة إلى الأحداث الخارجية والداخلية التي ارتبطت بعصرهم ومدى انعكاس ذلك ليس على مصر فقط وإنما على تاريخ الأمة الإسلامية عامة في العصور الوسطى.

ولقد تناول الباحث الموضوع الذي نحن بصدد دراسته من خلال عنصرين وخاتمة وملاحق.

يتناول المبحث الأول التعريف بالمماليك وأصلهم وكيف تمت الاستعانة بهم منذ أقدم العهود حتى أواخر الدولة الأيوبية (فترة الدراسة)، وكيفية إعدادهم ومراحل انتقالهم من موالٍ وعبيد إلى جنود وحكام وسياسيين حسب كفاءاتهم الشخصية.

وسوف يتطرق الباحث في المبحث الثاني إلى كيفية استخدام الملك الصالح أيوب المماليك البحرية في تثبيت حكمه في مصر وكيف صد بهم هجوم الحملة الصليبية السابعة بقيادة ملك فرنسا، ومن ثم دور أولئك المماليك في تكوين إمبراطورية إسلامية ساهمت في طرد التتار المغول فيما بعد.

وستبين لنا الخاتمة النتائج التي توصل إليها البحث، من خلال ماتوافر من مادة ومعلومات غنية عن البحث بين طيات المصادر والمراجع .

أما الملاحق.

فسيتناول الملحق الأول تلك الرسالة التي أرسلها ملك فرنسا، وما تحمله من تهديد ووعيد للملك الصالح أيوب، مغتراً بقواته التي تفوق قوات المصريين عدداً وعتاداً.

ويتناول الملحق الثاني رد الملك الصالح أيوب على رسالة ملك فرنسا مذكراً إياه أن النصر بيد الله وأن غروره سيؤدي إلى هلاكه لا محالة.

الموضوع الأول:

تعريف المماليك: المملوك اسم المفعول من ملك، وجمعها مماليك اسم مفعول من ملك وهو عبد الرقيق من البشر[1] من ذكر وأنثى.[2]

[1]- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت 1311م/711هـ): معجم لسان العرب، دار صادر (بيروت، 1988م) الجزء الخامس، ص228.

[2]- العبادي، احمد مختار : قيام دولة المماليك الأول في مصر والشام، دارالنهضة العربية (بيروت، د.ت) ص72.

مَلَك يَمْلُك وتَملكّ مُلكاً، والجمع مُلاَّك، والمفعول مَمْلوك، ملك الشئ استولى عليه وكان في قدرته أن يتصرف فيه بما يريد، والمملوك تسمية عربية يُشار بها إلى العبيد، ويشير هذا المصطلح تاريخياً إلى الجنود العبيد المسلمين وكذلك الحكام المسلمين الذين يرجع أصلهم من العبيد، ويطلق اسم (المماليك) اصطلاحاً على أولئك الرقيق الأبيض غالباً، الذين استحضرهم بعض الحكام المسلمين من أقطار مختلفة، وقاموا بتربيتهم تربية خاصة. [3]

وقد يسمون بالموالي والذين تعني تسميتهم اصطلاحاً عند المؤرخين كل من أسلم من غير العرب، وقد يكونوا من أسرى الحرب الذين استرقوا ثم أُعتقوا، أو من أهل البلاد المفتوحة الذين انضموا إلى العرب الفاتحين فصاروا موالٍ بالحلف والموالاة.[4]

والرق وأسباب الاسترقاق قديم قدم الإنسان عرفته الأمم قديماً، من سكان مابين النهرين ووادي النيل واليونان والرومان والعرب في الجزيرة العربية، وأقرته معظم الديانات كاليهودية والنصرانية، أما الإسلام فإنه ينص على إلغائه وتحريمه صراحة، وحض على تحرير الأرقاء وحسن معاملتهم ونظم العلاقة بينهم وبين سادتهم؛[5] مما يجعلهم إخواناً في الإسلام متحابين يعلم كل منهم حقوقه وواجباته حتى صار الكثير من الموالي شديدي الوفاء والإخلاص لسادتهم، ووصل الأمر إلى توليتهم مناصب في الحكم، فكان وردان مولى عمرو بن العاص قد ولاه خراج مصر. [6]

كما استعمل مسلمة بن مخلد والي مصر وأفريقيا في عهد معاوية بن أبي سفيان مولاه أبا المهاجر دينار على أفريقيا عام 50/670هـ. [7]

وولي أفريقيه عام 73/692هـ، تليد مولى عبدالعزيز بن مروان [8]؛ وكان موسى بن نصير فاتح أفريقيا في عهد معاوية بن أبي سفيان مولى لامرأة لخمية. [9]

---

[3] – السخاوي، شمس الدين أبوالخير محمد بن عبدالرحمن (ت1497 م/902هـ)الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل(بيروت، 1992م) ط1، ج10، ص291؛ انظر أيضاً، ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت1523م/929هـ) بدائع الزهور في وقائع الدهور، خمس أجزاء، ست مجلدات، ج3، ص301.

[4] – بيبرس الدوادار، المنصوري الناصري الخطائي ركن الدين(ت1325م/ 725هـ) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد س.ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، (بيروت،1998م) ج10، ص102.

[5] – المصري، جميل عبدالله: الموالي موقف الدولة الأموية منهم، دار أم القرى للنشر والتوزيع(عمان، 1988م) ط1، ص102.

[6] – يوسف، جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة (بيروت، 1981م) ط1، ص44.

[7] – اختلف المؤرخون في نسب موسى بن نصير فيرى البلاذري أنه كان مولى من موالى قبيلة لخم على شرطة معاوية بن أبي سفيان ثم أصبح وصيفا لعبدالعزيز بن مروان فأعتقه ، في حين ذكره فيليب حتى أنه من صلب قبيلة لخم وليس عبدا، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت892م/279هـ) فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع ، مؤسسة = المعارف (بيروت،1987م) ص238؛ حتى، فيليب،ادوارد جرجي، جبرائيل جبور: تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والتوزيع (بيروت، 1954م) ط2، ص.95.

[8] – ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت1405م/808هـ) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني، ج، (بيروت، 1985م) ص215.

[9] – الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 1374م/748هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت، د.ت) ص325.

وطارق بن زياد بربري من قبيلة نفرة[10]مولى لموسى بن نصير؛[11] أما العالم الجليل الحسن البصري فقد كان مولى لزيد بن ثابت رضي الله عنه من سبي ميسان.[12]

وهكذا فقد استعان المسلمون بالموالي في العهد الراشدي، وكذلك الأمويين، وتبعهم العباسيون في هذا النهج، فقام الخليفة العباسي المأمون 813م/198هـ/833م/218هـ، بالاستعانة والإكثار من المماليك، فضم إلى بلاطه الكثير من الموالي.[13]

أما الخليفة العباسي المعتصم بالله بن هارون الرشيد833م/218هـ-843م/227هـ، فقد أتخذ من المماليك عزوة؛ له خوفاً من ازدياد نفوذ جنوده من العرب والفرس، واعتمد عليهم فكون منهم جيشاً أغلبه من التركمان.[14]

وكان الخليفة المعتصم بالله يقوم بشراء المماليك صغاراً ويقوم بتربيتهم، وقد وصلت أعدادهم إلى عشرين ألف تقريباً.[15]

كما اعتمد والي مصر أحمد بن طولون 868م/254هـ-884م/270هـ، على المماليك وجلبهم من بلاد الديلم وجنوب بحر قزوين ووصل عددهم إلى أربعة عشر ألف مملوك تركي، وأربعين ألف مملوك أسود وسبعة آلاف من المرتزقة.[16]

وقام الأخشيديون بتكوين جيش قوامه أربعمائة ألف من الأتراك والديلم في عهد محمد بن طغج الأخشيدي 935م/323هـ-946م/334هـ.[17]

---

[10] – لم يذكر ابن عبدالحكم أو ابن الأثير شئ عن نسب طارق بن زياد في حين ذكر المقري التلمساني أن ابن خلدون يشير إلى طارق بن زياد بأنه يلقب بالليثي غير أن هذا لا يظهر في الطبعات المعاصرة لابن خلدون ويقال أنه فارسي من همذان، ويشير آخرون أنه عبد عربي معتقاً، كما يشير المقري في موضع آخر انه من أصول لخمية. أبن عذارى، أبوعبدالله محمد بن محمد (1295م/ 694هـ) البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة (بيروت،1983م) ط3، ص5؛ الهمذاني، رشيد الدين فضل الله:(ت1318م/717هـ) تاريخ المغول، مج 2،ج1، نقله إلى العربية: محمد موسى هنداوي، فؤاد عبدالمعطي الصياد ومحمد صادق نشأت، دار إحياء التراث (القاهرة،1960م) ص204؛ ابن تغري بردي، أبوالمحاسن جمال الدين بن يوسف(ت 1470م/874هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية (بيروت، 1960) ج3، ص476؛ المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1632م/1041هـ) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: يوسف الطويل ومريم الطويل، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت) ص255؛ جعيط، هشام:تأسيس الغرب الإسلامي، دار الطليعة (بيروت، 2004م) ص199.

[11] – السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت 1505م/911هـ) تاريخ الخلفاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المكتبة الوقفية، ط2 (قطر،2013م) ص198.

[12] – بن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت م/764هـ) فوات الوفيات ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1973م) ط1، ص218.

[13] – أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي(1268م/930هـ) الذيل على الروضتين، تحقيق: عزت العطار بعنوان تراجم رجال القرنين السادس والسابع (القاهرة ،1947م) ص356؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص230؛ المصري: الموالي، ص102.

[14] – ابن شاهين الظاهري، خليل بن شاهين الظاهري غرس الدين المصري (1468م/873هـ) زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك ، تحقيق بول رافيس (باريس ،1895م) ص326.

[15] – ابن شداد ، يوسف بن رافع بن تميم ابوالمحاسن بهاء الدين (ت1234م/632هـ) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين الأيوبي، مطبعة الآداب والمؤيد (القاهرة ،1899م) ص258.

[16] – ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص259؛ جحا، شفيق ومنيرالبعلبكي وعثمان بهيج: التاريخ المصور، دار العلم (بيروت،1999م) ط19، ص ص13- 14.

[17] – أبو الفداء، إسماعيل بن علي الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه (ت 1331م/732هـ) المختصر في أخبار البشر، تقديم حسين مؤنس، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ويحي سيد حسين، دار المعارف (القاهرة، د.ت) ط1، ص88.

ولم يختلف الفاطميون عن سابقيهم إبان حكمهم لإفريقيا حيث اعتمدوا على الموالي من المصامدة المغاربة [18].

وجلب الأيوبيون أعداداً كبيرةً من المماليك عن طريق سوق النخاسة في شبه جزيرة القرم، وبلاد القوقاز والقبجاق[19] وماوراء النهر وأسيا الصغرى وفارس وتركستان ومن البلاد الأوربية أيضاً[20] التي ازدهرت فيها تلك التجارة حيث مارسها البنادقة[21]والجنويون الذين كانوا يشترونهم من سواحل البحر الأسود ويقومون ببيعهم في مصر، حتى وصل ماكانوا يبيعونه في العام الواحد إلى ألفين من المغول والشراكسة والروم والألبانيين والصقالبة والعرب[22]،ويتم بيعهم في سوق خان مسرور بالقاهرة وسوق الاسكندرية. [23]

ولعل ماجعل الأيوبيون في مصر والشام يستكثرون من هؤلاء المماليك، هو ضعف شأن الأيوبيين وتفرقهم بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي 1193م/589هـ، ذلك الانقسام الذي حصل بين أبناء البيت الواحد، وصاروا ملوكاً في مصر ودمشق وحلب والكرك وبعلبك وحمص وحماه، تلك الدويلات القزمية، ومادار بينهم من منافسات وحروب أضعفت الجميع؛ وهذا ما جعل كلاً منهم يبحث عن عصبية تحميه وقت الشدائد ولصد أعدائهم، فكان الإكثار من الرقيق (المماليك)خير وسيلة لتحقيق ذلك والوقوف في وجه الصليبيين في الشام.[24]

أقام الملك الصالح نجم الدين أيوب 1240م/638هـ-1249م/647هـ[25] معسكرات لمماليكه في جزيرة الروضة[26]1241م/638هـ، وسماهم بالمماليك البحرية الصالحية وسكن في القلعة معهم، ولفظ البحرية تعني "النهر" مشيرة إلى جزيرة الروضة[27]ويرى العبادي[28]أن تسمية البحرية قد ترجع إلى أن من سموا بالبحرية قد جاءوا من وراء البحار.

---

18 – ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي (ت1405م/807هـ) الطريق الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق ونجلاء عزالدين، المكتبة الأمريكية (بيروت،1938م) مج9، ج2، ص154.

19 – ابن العسال، مفضل ابن أبي الفضائل (ت1358م/759هـ) النهج السديد والدر الفريد فيما بعد(تاريخ ابن العميد) تحقيق: محمد كمال الدين وعزالدين علي السيد 1-2، دار سعد الدين للطباعة والنشر(دمشق، 2017م) ط1، ج1 (658-709هـ) ص96.

20 – القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت1418م/821هـ) صبح الأعشى في صناعة الأنشا، تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث الإسلامي (بيروت، 1987م) ص321.

21 – ابن كثير،الحافظ عماد الدين ابوالعباس بن عمر (ت1372م/774هـ) البداية والنهاية في التاريخ، دار المعارف (بيروت، 1977م) ص415.

22 – ابن عبدالحكم، أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت871م/257هـ) فتوح مصر والمغرب، حققه وقدم له: علي محمد عمر مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2004م) ص365؛ انظر أيضا، عاشور، سعيد عبدالفتاح: مصر في عهد المماليك البحرية، إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم بمصر، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1959م) ص ص10-11.

23 – ابن أيبك، أبوبكر عبدالله الدواداري (ت 1332م/732هـ) كنز الدرر وجامع الغرر، الدرر الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: سعيد عاشور المعهد الألماني للآثار الشرقية، ج7، (القاهرة، 1972م) ص419.

24 – ماجد، عبدالمنعم: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة للنظم السياسية ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1982م) ص210 .

25 – الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب لقب بأبي الفتوح، ولد بالقاهرة 1205م/ 603هـ، سابع سلاطين بني أيوب بمصر، هو الذي أنشأ المماليك البحرية بمصر، دخل في صراع مع الملوك الأيوبيون في الشام، توفى يوم 22نوفمبر 1249م/ 647هـ ، أثناء احتلال الفرنج لدمياط وأخفت موته زوجته شجرة الدُّر وتحملت بجسارة أعباء الدفاع عن مصر.المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر(1441م/845هـ) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ،1934م) ج1، ص402؛ أنظر أيضاً، حسن، علي إبراهيم:دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عهد الناصر محمد بوجه خاص، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة الاعتماد (القاهرة، 1944م) ص128.

على أية حال كانت قوة المماليك البحرية قوة إسلامية ضاربة استطاعت بقوتها وعزيمة أفرادها كجنود وقادة سياسيين أن تثبت جدارتها داخلياً وخارجياً، في الوقت الذي كانت القوى الإسلامية الأخرى في تفكك وضعف، وهذا ما سنحاول توضيحه في المبحث الثاني .

الموضوع الثاني:

تمهيد: كانت الحملات الصليبية أو الحروب الصليبية مصطلحاً يطلق على مجموعة من الحملات التي قام بها الأوربيون من أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري حتى أواخر القرن الثالث الميلادي/ القرن السابع الهجري 1090م/489هـ-1291م /690هـ، وكانت حملات دينية تحت شعار الصليب، وذلك لتحقيق هدفهم الرئيس ألا وهو السيطرة على الأراضي المقدسة [29]، وكانت سلسلة الصراعات العسكرية ذات طابع ديني خاضته معظم دول أوربا المسيحية ضد ما اعتبرته تهديدات خارجية وداخلية[30].على أية حال أسفرت الحملة الصليبية السادسة والتي لم تكن كسابقاتها دون مباركة البابوية 1228م/625هـ، عن صلح لمدة عشر سنوات بين كل من الإمبراطور فريدريك الثاني Friedrich II إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة (1220-1250م) وملك صقلية (1198-1250م)[31]. والملك الأيوبي الكامل ناصر الدين محمد(1218م/615هـ-1238م/635هـ)، تنازل بموجبه الملك الكامل ناصر الدين عن القدس للإمبراطور باستثناء الحرم والمناطق المؤدية إليها، ثم وقع الإمبراطور اتفاقيات تجارية مع مصر، كما تعهد للملك العادل بمساعدته ضد أعدائه سواءً كانوا مسلمين أم مسيحيين، إلا أنه علم بمهاجمة البابا جريجوري التاسع Gregore (1227م/1241م)، لأملاكه في جنوب

---

[26] – جزيرة الروضة جزيرة كبيرة تقع في نهر النيل، عرفت في العصور الوسطى بإسم الجزيرة لوقوعها في مجرى النهر وعرفت بالفسطاط وعرفت بجزيرة مصر وعرفت أيضا بجزيرة المقياس لوجود مقياس النيل الذي بناه الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (715م797هـ) وعرفت بإسم جزيرة الحصن نسبة إلى الحصن الذي بناه أحمد بن طولون، وعرفت بجزيرة الصناعة نسبة إلى نقل دار الصناعة إليها في عهد الإخشيديين، ثم عرفت بجزيرة الروضة في العهد الفاطمي نسبة للحديقة التي بناها بدر الجمالي وأصبحت مقرا للمماليك البحرية في عهد السلطان الصالح أيوب.قال عنها الإدريسي طولها ميلين وعرضها رمية سهم وذكرها المقريزي بأنها"كانت متنزها مملوكيا ومسكنا للناس". الإدريسي ، محمد بن محمد بن عبدالله الحمودي الحسيني الشريف (ت1166 م/559هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة العربية، (القاهرة، 2002م) مج1، ص255؛ المقريزي:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة الآداب (القاهرة، 1968م) ص450؛ انظر أيضا،زكي، عبدالرحمن : موسوعة مدينة القاهرة في آلف عام، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، 1987م) ص ص95-96؛ الششتاوي، محمد: متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، دار الأفاق العربية (القاهرة، 1999م) ط1، ص ص79- 80.

[27] – المقريزي:السلوك، ج1، ص441، أبوالفداء: المختصر، ص ص66.88.

[28] –العبادي: تاريخ دولة المماليك الأولى، ص.98

[29]-Bebjamin Kader; 'une installation faite pour durer" la Histoir a40.Mai 2017. P.25.

30-John Shertzer Hittcll: A History of culture 1874 .p.137.

[31] – كان فردريك الثاني ملكاً على صقليه وعمره اربعة عشر، وأصبح امبراطورا للإمبراطورية الرومانية المقدسة وعمره واحد وعشرين سنة، كان رجلاً مثقفاً، رعى الفنون وشجع العلم، أعتبر من أذكى الرجال في أوروبا ، لُقب بمعجزة العالم، أسس جامعة نابلي 1224م، جعل جامعة سالرنو أفضل مدرسة طب في أوروبا أُعجب بالثقافة العربية الإسلامية ، وشجع على الدراسة والترجمة، أصبحت صقلية في عهده مركزاً هاما لانتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا. شيخاني، سمير: كواليس التاريخ، دار الجيل (بيروت،1992م) ج1، ط1، ص 227..

إيطاليا،مما اضطره إلى العودة لجنوب إيطاليا وهزم قوات البابا، ووقع معه معاهدة صلح جرمانو 1230م، ليرجع الإمبراطور فريدريك الثاني للمصادقة على معاهدته مع الملك الكامل الأيوبي.[32]

التحالف الشامي الصليبي:

لم تسلم البلاد الإسلامية من هجمات الصليبيين رغم عهودهم المتكررة، ففي عام 1239م/637هـ، تحركت فصائل قليلة من مدينة ليون[33]،يقودها تيبو دي نافار(1201-1253م)[34] والدوق هوج الرابع Hugu IV دوق برغندي (1213-1272م)[35] يساندهم فرسان الهيكل[36]،

حاول هؤلاء جميعاً أن يتحالفوا مع حكام دمشق ضد مصر، لكنهم فشلوا في ذلك، وهُزموا أمام المصريين في عسقلان، نوفمبر1239م/ربيع الثاني637هـ،وفي عام 1243م/641هـ، تسلم الصليبيون طبرية وعسقلان طواعية من أيوبي الشام وتمكنوا أيضاً من القدس، وعلقوا أجراساً على المسجد الأقصى، مما أحزن أحرار المسلمين عامة، والملك الصالح أيوب ومماليكه بصف خاصة.

ولعل ذلك ما جعل الخوارزميون[37]يعبرون نهر الفرات، يقودهم حسام الدين بركه خان، بعشرة آلاف مقاتل تقريباً.

---

32 – مجموعة من العلماء والباحثين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، 1999م، ص245.

33 – مدينة ليون: تعتبر ثاني أكبر مدن فرنسا بعد مدينة باريس، تأسست عام 43 ق.م، تقع على تقاطع نهري ساون ورون، ويعود تأريخها إلى أكثر من 2000عام، أسسها لوسيوس موناتيوس بلانكوس حاكم بلاد الغال

Shackleton .Baily; Cecero , Epistulae ed familiars,Vol I .Cambridge university ,press.2004,p.35.

34 – تيبو دي نافار(1201- 1253م) كان كونت شامبانيا وملك نافارعام 1234م، ويعتبر عهده سلمياً، رغم أنه شارك في مهاجمة عكا قبيل الحملة الصليبية السابعة، وكان أول فرنسي يحكم نافار، بعد موته تولى ابنه تيبو دي الثاني الذي تزوج إيزابيلا ابنة لويس التاسع ملك فرنسا وشارك معه في الحملة الصليبية الثامنة على تونس

Setton(K.M); the Papacy and Levant 1204-1571 the Thirteenth and Fourteenth Centuries the American Phiosophical= =Society 1972p.492;Wolff and Harry W ;Hazard editor university of Wisconsin,press,Milwukee.1966.p.201.

35-Jim Bradbury; The copetions the history of Dynasty Bloomsbury puplishing ,2007,p.210.

36 – فرسان الهيكل Templers الهيكليون هو تنظيم من بين أكثر التنظيمات العسكرية المسيحية الغربية ثراءاً وقوة، استمر لمدة قرنين في العصور الوسطى، بداؤ بعد الحملة الصليبية الأولى سنة1096م، لضمان سلامة الحجاج الأوربيين الذين كانوا يسافرون إلى للقدس بعد انتصار الصليبيين، دعمتهم الكنيسة الكاثوليكية رسمياً1129م، وكانوا مدربين ومسلحين فبنوا قلاع كثيرة في أوروبا والأراضي المقدسة

Malcom Barber; The new knighthood, Ahistory of the order of the temple Cambridge university press,1994,p521.

37 – الخوارزميون هم سلالة تركية مسلمة سنية، حكمت أجزاء كبيرة من أسيا الصغرى وغرب إيران، ثم أخذت في التوسع، فحطمت القوة السلجوقية في الشرق وبلاد فارس وخرسان، وهاجمت الخلافة العباسية ولم تفلح لتعرض جيوشها للأمطار والعواصف فقتل من جيشها وخيولها الكثير 1217م /621هـ، هاجمهم المغول بأربعة جيوش، ولم يهزمهم بقلة وإنما سوء تدبير، انتهت دولتهم 1239م/628هـ، ظلت البقية المتبقية منهم يعملون كمرتزقة لصالح من يدفع لهم، وكان الملك الصالح أيوب يحضى بصداقتهم، مما جعله يستعين بهم لنصرته ضد الصليبيين وحكام دمشق. النسوي، محمد بن أحمد (ت 1241م/639هـ) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي (القاهرة، 1953م) صفحات291-295؛ أنظر أيضاً، الصياد، فؤاد عبدالمعطي:المغول في التاريخ، دار النهضة (بيروت،1970م) ص125؛ حمدي، حافظ أحمد:غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وأثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، دار الفكر العربي (القاهرة، 1949م)صفحات 17-42.

معركة هربيا Laforie:

اقتحم الخوارزميون بعلبك وغوطة دمشق، ثم هاجموا القدس هجوماً خاطفاً بمعنى الإغارة، ولم يتمكنوا من احتلاله، وضربوا منازلهم في مدينة غزة، وأرسلوا إلى الملك الصالح ليعلموه بقدومهم،فما كان من الملك الصالح أيوب إلا الترحيب بهم والسماح لهم بالإقامة في غزة، وهذا يؤكد أن هناك اتفاقاً مسبقاً بينهم على التعاون ضد الصليبيين ومن يساندهم من حكام تلك الأقاليم .

يبدو أن الملك الصالح قد رأى بقدوم الخوارزميين أن باستطاعة جنده وتلك النجدة التي قدمت إليه أن يحقق مبتغاه.

جهز الملك الصالح أيوب جيشاً تحت إمرة أحد مماليكه ويدعى ركن الدين بيبرس البنقداري.

التحق جيش ركن الدين بيبرس بجيش الخوارزميين 17اكتوبر 1244م/13جمادي الأول642م، ودارت أول معاركهم مع الصليبيين في هربيا شمال شرق غزة، وتُدعى كذلك لافوري Lafore[38].

كانت هذه المعركة حاسمة وفاصلة، نظراً لإحاطة جيش ركن الدين والخوارزمية، بالصليبيين وقطع الاتصال بينهم وبين إمداداتهم وجعلهم بين مطرقة الخوارزميون وسندان ركن الدين، ولم يفلت منهم إلا من فر بنفسه.[39]

تحرير القدس:

كانت خسائر الصليبيين كبيرة جداً، ووصل عدد قتلاهم قرابة خمسة آلاف قتيل، بما فيهم رئيس أساقفة صور، وأسقف الرملة ومقدم الداوية[40]، وأسر كونت يافا ومقدم الإسبتارية [41]، وقد أورد ابن الدواداري[42] أنهم حُمّلوا على جمال يقصد مقدم الإسبتارية وكونت يافا وطافوا بهم شوارع القاهرة.

انطلقت قوات بيبرس والخوارزميون إلى عسقلان وتم حصارها براً وبحراً، وتم تحرير مدينة القدس.[43]حقق جيش المسلمين انتصاراً باهراً، ووصلت الأخبار بالنصر إلى القاهرة، فهلل أهلها وزُينت المدينة، وأستبشر أهلها.[44]

أما على الصعيد الأوربي فقد أُعتبر تحرير بيت المقدس 1244م /642هـ سقوطاً في أيدي المسلمين، وكان وقعه عظيماً وله صدى كبير في أوروبا كلها شبهها لشيال[45] بصدى تحرير صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس عام 1187م/589هـ. على أية حال عندما حرر صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس1187م/583هـ، كان الخبر مدوياً وصاعقاً للصليبيين مما جعلهم يقومون

---

[38] – رانسيمان، ستيفن: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نورالدين خليل (الإسكندرية،1998م) الهيئة المصرية للكتاب، ط2،ج3، ص225.

[39] – رانسيمان:تاريخ الحملات الصليبية،ج3، ص227.

[40] – المقريزي: السلوك، ج1، ص419؛ أنظر أيضاً، رانسيمان: المرجع السابق، ج3، ص227.

[41] – رانسيمان: المرجع السابق، ص227.

[42] – ابن أيبك، ابوبكر عبدالله الدواداري (ت 1332م/732هـ) كنز الدرر وجامع الغرر، الدرر الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: سعيد عاشور المعهد الألماني للآثار الشرقية،ج7، (القاهرة، 1972م) ص354.

[43] –المقريزي: السلوك، ج1، ص420.

[44] – الشيال، جمال الدين: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف (القاهرة، 1966م) ج2، ص93.

[45] نفسه.

بإرسال الحملة الصليبية الثالثة، وعندما حرر الملك الصالح نجم الدين أيوب بيت المقدس 1244م/642هـ، كان السبب أيضاً في مجئ الحملة الصليبية السابعة.[46]

وكانت هناك فكرة سائدة في أوروبا منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي، وقد عبر عنها Jane Pool[47] حيث قال: إنه مادامت مصر تتمتع بالقوة والاستقرار فإن محاولات الصليبيين في الشام لن يكتب لها النجاح، ولابد من حرمان الجبهة الإسلامية من تلك القاعدة الحربية المهمة.

ويفيدنا المؤرخ ابن واصل[48] كذلك بقوله في هذا السياق" عن ملك فرنسا ريد فرانس حدثته نفسه بأن يستعيد بيت المقدس إلى الفرنج .....وعلم أن ذلك لايتم إلا بملك الديار المصرية"

على أية حال أيقن الصليبيون أن مصر هي الأقوى اقتصادياً وعسكرياً وهي التي بالسيطرة عليها يتم استرداد بيت المقدس إليهم.[49]

أرسل روبرت بطريرك بيت المقدس بإرسال مندوب عنه وهو جاليران أسقف بيروت إلى ملوك أوروبا، الذين أصابهم الذعر خوفاً على ممالكهم، وأن سقوطها في أيدي المسلمين، قد أصبح قاب قوسين أو أدنى، بعد الهزيمة التي مُنيت بها قواتهم ببيت المقدس.[50]

الاستعداد الصليبي للحملة:

على الرغم من الصراع الدائر في أوروبا بين البابوية والإمبراطورية إلا أن ذلك لم يثن الأوربيين من التفكير في شن الحملات الصليبية على البلاد الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، وفي هذه المرة قام الملك الفرنسي وليم التاسع Louis IX أو لويس القديس Saint Louis (1226م/ 623هـ– 1270م/ 668–هـ)، بكل مايحمل من دهاء، أخذ يستعد لشن حملة صليبية، وأثناء انعقاد المجمع الكنسي الأول لعام 1245م، أعلن بابا الكاثوليك انوسينت الرابع Pope Innocent IV كامل التأييد والمباركة لهذه الحملة [51]، أي مباركة ما يقوم به الملك لويس التاسع،إضافة إلى فرض ضرائب على الناس إسهاماً في تلك الحملة، وأعلنت مرسيليا وجنوه تقديم وتجهيز السفن لنقل الجند والمعدات والمؤن؛[52] وفي غضون السنوات الثلاث صارت

46-King Edwin James; The Knights Hospitallers in the Holy Land, Forgotten Book, 2017,p245.

47- Stanley Lane Poole; Ahistory of Egypt in the Middle ages ,1901,p218.

48 – ابن واصل، أبو عبدالله محمد بن سالم بن ناصرالمازني (1298م/697هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق:جمال الدين الشيال وحسين محمد ربيع، المطبعة الأميرية (القاهرة،1957م) ج4، ص241.

49-Doris Behrens; Cairo of the Mamluks I.B.Tauris (London,New York, 2007) p.250.

50-Mathhew.Peris ; English History : from the year 1235-1273;vol 1,p.trans,Giles.John allen .Paris.Andesite press (London.2017)II,p.x.6.

51 – رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج3، ص262.

52- Jean Joinvill's ; ,Chronicles of the Crusades;p149.

الحملة جاهزة للانطلاق في أواخر عام 1248م/646هـ، كان الإعداد لهذه الحملة والتجهيز لها غير مسبوق، فقد تكونت قوة الأسطول الصليبي من ألف وثمانمائة سفينة، تحمل أكثر من ثمانين ألف مقاتل بعدتهم وعتادهم.[53]

تحرك الحملة:

في الخامس والعشرين من أغسطس 1248م/الرابع والعشرين من جمادي الأول 646هـ، انطلقت الحملة الصليبية السابعة من مرفأ ايجو – مورت Aigues – Mortes بقيادة الملك لويس التاسع ملك فرنسا ترافقه زوجته Marguerite de provence وأخوته شارل انجو Charles Angou وروبرت دي ارتوا Robert Artois، وعدد من النبلاء الذين لديهم خبرة لايستهان بها في الحروب الصليبية السابقة.

انطلقت الحملة، وكانت وجهتها جزيرة قبرص؛ ليتم تجميع قواتهم هناك، قبل مسيرها إلى وجهتها الرئيسة مصر، ويذكر رنسيمان [54] أن قوات فرسان الاسبتارية والداوية قد التحقت بالحملة قادمة من مدينة عكا، وأن توقف الحملة في جزيرة قبرص قد أدى إلى تسرب أخبارها إلى المصريين.

وتجدر الإشارة إلى أن فريدريك الثاني Friedrich II إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة (1220م-1250م)، وملك صقلية (1198-1250م)، والذي تميز عهده بالصراع مع البابوية، قد بعث إلى السلطان الأيوبي الملك الصالح أيوب يخبره بإبحار الحملة.[55]

أبحر الملك الفرنسي لويس التاسع في مايو 1249م/صفر647هـ، نحو مصر في سفينته الملكية لومنتجوي Le Montijoie، وتبعته السفن الأخرى المرافقة له،من ميناء ليماسول القبرصي Limassol، وبسبب الرياح العاتية؛ جنحت السفن إلى عكا وسواحل الشام نحو سبعمائة سفينة حاملة نحو ألفي ومائتي فارساً صليبياً، الأمر الذي جعل الملك لويس للتوقف في جزيرة الموره اليونانية[56] لينضم إليه قريبه هيو دو بوروندي Hugh de Burgundy الذي شارك من قبل في حملات صليبية أخرى.[57]

الاستعدادات لمواجهة الحملة:

علم الملك الصالح بتحرك الحملة؛ مما أفسد عنصر المفاجأة على الصليبيين، فأنهى حصاره لمدينة حمص، فقد كان في تلك الأثناء في صراع مع إخوته ملوك بني أيوب في الشام، وكان فيما مضى قد غادر مصر وحاصر مدينة حمص، بعد أن استولى أحدهم عليها وهو الملك الصالح إسماعيل حاكم حلب.[58]

53- Thomas Philip .Ulrich Haarmann;the Mamluks in Egypthian and Syrian Politics and society ed by Michael Winter and Amalia Levanoni Cambridge press2002.p.210.

54- رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية،ج3، ص257.

55-Jean Joinvill's ; ,Chronicles of the Crusades,p.146.

56- جزيرة المورة: هو اسم جزيرة البيلوبونيز في جنوب اليونان في العصور الوسطى، وكانت تعرف باسم موريا، وفي المصادر العربية باسم المورة، تبلغ مساحتها 549 كيلو متر مربع، ذكرها الإدريسي باسم بلبونس .الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، ص216؛ أنظر أيضاً ، مجموعة من العلماء والباحثين: الموسوعة العربية العالمية، ص255.

57- Jean Joinvill's ; ,Chronicles of the Crusades,p.150.

58 – المقريزي: السلوك،ج1، ص ص 433،434.

عاد إلى مصر في شهر أبريل 1249م/ محرم 647هـ وكان يعاني مرضاً شديداً، ومع هذا كله بدأ الملك الصالح أيوب بالاستعداد وإقامة التحصينات وإصلاح الأسوار.[59]

بدأت الأسلحة والأجناد والمؤن تتدفق على مدينة دمياط، كما تم تجهيز الأسطول في القاهرة، وكُلف بقيادته الأمير حسام الدين بن علي.

بحنكته عرف الملك الصالح أن الحملة سيكون نزولها عن طريق دمياط، فأمر بعسكرة جيوش مماليكه البحرية جنوبها في بلدة اشمومطناح[60] وهي اشموم الرمان.

وكان من ضمن استعداداته أيضاً أن أمر الأمير فخرالدين يوسف بن شيخ الشيوخ بأن يقوم بإنزال جيشه بالجيزة تجاه دمياط ليمنع الصليبيين من النزول على البر الغربي، وليصبح في اتجاه المدينة والنيل بينهما، كما أمره بتحصين مدينة دمياط وعهد إليه بحمايتها هو وقبيلته عرب بني كنانة[61]، الذين اشتهروا بشجاعتهم وقوة بأسهم.[62]

الصليبيون يستولون على دمياط:

وصل الأسطول الصليبي إلى دمياط 4 يونيو 1249م/ 14 صفر647 هـ،ومن ثم أرسل الملك الفرنسي لويس التاسع قائد الحملة إلى السلطان الصالح أيوب كتاباً [63]مهدداً ومتوعداً طالباً منه الاستسلام، وكان الملك الصالح أيوب يعاني مرضاً شديداً، لكنه رد عليه بكتاب[64] شديد اللهجة حذره فيه من غيه وتهوره.

ونزل الصليبيون إلى البر الغربي في اليوم التالي، ووقعت بينهم مناوشات، ثم التحمت قوات الصليبيين بقوات بنو كنانة على الساحل، وعند حلول الليل انسحب الأمير الكناني فخرالدين بجيشه وبحامية المدينة، تاركاً دمياط تواجه مصيرها المحتوم.

---

59 – ابن أيبك: كنز الدرر،ج7، ص366.

60– أشموم طناح أو أشموم الرمان من القرى القديمة تسمى أشموم إرمان Chemoun Erman وقد وردت بأسم أشموم طناح، من أعمال الدقهلية .ابن مماتي، أبو المكارم الأسعد بن المهذب بن زكريا (ت1209م/606هـ) كتاب قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، الجمعية الزراعية الملكية للنشر (القاهرة، 1943م) ص89.

61 – بنو كنانة: ارجع أبوهشام في السيرة نسبهم إلى بني النبي إسماعيل بن النبي إبراهيم عليهما السلام، كما يذكر الطبري أن كنانة هو الجد الثالث عشر في عمود النسب الشريف للنبي محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، وكانت ديار كنانة على الساحل الغربي لبحر القلزم(البحر الأحمر) وكانت تعرف عند الجغرافيين باسم ساحل كنانة ؛ وقد اشتهروا بالشجاعة والإقدام قديماً وعندما غزا الفرنج بلبيس بمصر في شوال 1163م/ 558هـ، فهزموهم وردوهم عنها وقتلوا منهم كل من ظفروا به. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 922م/310هـ):تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف (القاهرة،1998م) ط2، ج1، ص512؛ ابن حزم الأندلسي، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 1064م/456 هـ) جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف (القاهرة، د.ت) ط5، مقدمة الكتاب، ص28، وكذلك ص ص10-11؛ خوري، إبراهيم: الهمداني صفة جزيرة العرب، دار المشرق (بيروت، 1993م) ص61؛ الضاحي، ساجد جبار:المختصر في أخبار كنانة مضر، الأهلية للنشر والتوزيع (عمان، 2008م) ص164..

62 – ابن أيبك: كنز الدرر، ج7، ص 366؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص ص 231-232؛ أنظر أيضاً: الشيال: تاريخ مصر الاسلامية، ج2، ص ص95-96.

63 – ملحق رقم 1، رسالة الملك الفرنسي لويس التاسع الى السلطان الصالح ايوب.

64 – ملحق رقم 2، رد السلطان الصالح ايوب على تهديد الملك الفرنسي لويس التاسع .

ويفيدنا الشيال[65] أن انسحاب الأمير فخرالدين راجع إلى ظنه أن الملك الصالح قد توفى لعلمه بمرضه الشديد ويوافقه الرأي المؤرخ جونفيل Joinvill[66] أن انسحاب الأمير جاء بعد مراسلته للملك الصالح ثلاث مرات أثناء نزول قوات الصليبيين ولم يرد عليه فظن أنه قد مات، بينما يرى ابن واصل[67] والمقريزي[68] أن الأمير كان طامعاً في ملك مصر، وأن الملك قد فارق الحياة.

ويفيدنا ابن تغري بردي[69] أن الملك الصالح قد غضب على الأمير فخرالدين وأمرائه من بني قومه، وعاقب الكثيرين منهم لإهمالهم في الدفاع عن دمياط، وهذا الأمر أدى إلى ازدياد خطرهم عليه لدرجة أنهم دبروا مؤامرة لقتله، ولولا مرضه الذي توفي فيه لما نجا من شرهم.

على أية حال هرب أهل دمياط تاركين مؤنهم وبيوتهم، وتركوا الجسر الواصل بين البر الغربي ودمياط قائماً، مما جعل وصول الصليبيين إلى دمياط ميسراً.[70]

تراجع المسلمين إلى مدينة المنصورة:

استولى الملك لويس التاسع على دمياط، بعد أن تركها أهلها مذعورين، وأنسحب الأمير فخرالدين إلىأشموم طناح، ولم يتعرض الصليبيين لمقاومة تذكر بعد أول يوم من المناوشات؛ وقام بتحصين أسوارها؛ ونصّب أسقف على المدينة، بعد أن حول جامعها إلى كاتدرائية.[71]

أما الملك الصالح نجم الدين أيوب، وبعد أن ارتدت قواته إلى مدينة المنصورة، ونزل السلطان بقصره على ساحل النيل، وأصبحت السفن مستعدة وتجمعت القوات في مدينة المنصورة.

أمر الملك الصالح بإرسال الشواني[72] بالمحاربين والسلاح إلى جبهات القتال، وأخذت المساجد في حملات تعبوية للناس لحثهم على الجهاد[73]"{انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }التوبة41[74].

---

65 – الشيال: تاريخ مصر الإسلامية ،ج2، ص97.

66- Jean Joinvill's ; ,Chronicles of the Crusades,p.52.

67 – ابن واصل: مفرج الكروب، ج4، ص ص 364.365.

68 – المقريزي: السلوك، ج1، ص345.

69 – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص215.

70 – رانسيمان:تاريخ الحملات الصليبية،ج3، ص262.

71 – خليل، نورالدين: شجر الدُّر وقاهرة الملوك ومنقذة مصر، دارالفتح للطباعة والنشر(الإسكندرية، 2005م) ط1، ص39.

72 – الشواني: جمع شونة وهي مركب حربي كبير، كانوا يقيمون عليه أبراجاً وقلاعاً للدفاع، وهي أهم القطع التي كان يتألف منها الأسطول في الدول الإسلامية.عباده، عبدالفتاح: سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها(القاهرة،1913م) ص124.

73 – ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد (ت1523م/930هـ) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: مدحت الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، 2007م) ج1، ص ص277– 278.

74 – القران الكريم : سورة التوبة، آية 41.

بدأ الناس يتجمعون بحماس منقطع النظير من كافة أنحاء البلاد، وامتلأت الساحات، وتم تشكيلهم، ومن ثم أصبحت الغارات متكررة على الصليبيين في شكل عمليات فدائية، لاختطاف الفرنج بكافة الطرق مما أزعج الصليبيين،[75]واستمرت المناوشات فترة ستة أشهر تقريباً إلى شهر نوفمبر1249م .

أما عن الجانب الصليبي ففي نوفمبر 1249م، فقد قرر عُقِد مجلسٌ للتشاور فيما سيقوم به جيشه، وذلك بعد وصول كونت ديبواتيه أخيه، وتضاربت الآراء بين التوجه إلى مدينة الإسكندرية [76]، وبين مهاجمة أهم مدن مصر وهي القاهرة، وكانوا هم الأغلبية، قرر الملك لويس التاسع تحريك قواته من دمياط إلى القاهرة.[77]

وفاة الملك الصالح أيوب:

في هذه الأثناء توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب ولم يُعلَن عن وفاته، واستمرت العمليات الحرب وإدارة شؤون الحكم من شجر الدُّر زوجته، والتي بدورها أرسلت الأمير فارس الدين أقطاي زعيم المماليك البحرية، في طلب أبن زوجها وولي العهد الأمير توران شاه لتولي الحكم.[78]

لم يخف خبر وفاة الملك الصالح كثيراً، فقد أورد رينسمان[79] أن نبأ وفاة الملك تسرب إلى الصليبيين، مما جعلهم يستعجلون مغادرة دمياط، ترافقهم سفنهم محاذية لهم في نهر النيل، ثم توقفوا في فارسكور[80]، ووصلوا إلى قناة أشموم طناح التي تفصلهم عن معسكر المسلمين، وقد عبرها الخيالة بمساعدة أحد الجواسيس دون مقاومة مقابل مبلغاً من المال.

كان هجوم الصليبيين على معسكر المسلمين في جديلة [81] مفاجأة غير متوقعة، وقُتِل الأمير فخرالدين قائد الجيش، وتشتت القوات، واقتحم الصليبيون أحد أبواب مدينة المنصورة، ووصلوا بالقرب من قصر السلطان، منتشرين في أزقة المدينة.

معركة المنصورة:

استفاق المماليك البحرية من صدمتهم، وبدأوا يتداركون الأمر، وقد تولى فارس الدين أقطاي قيادة الجيش.[82]

تم تنظيم القوات، وقام الأمير بيبرس البنقداري بوضع الخطط، والتي رأى فيها ضرورة استدراج الصليبيين في كمين محكم بالدخول في مدينة المنصورة، مستغلاً ذلك الحماس ونشوة الانتصار الذي يتمتع به الصليبيون في جديلة وأشموم طناح وغيرها.[83]

75- المقريزي: السلوك، ج1، ص348 ؛ أنظر أيضاً، يوسف: العدوان الصليبي على مصر، ج153؛ الشيال: تاريخ مصر، ج2، ص97.

76- Charles Oman William; History of the art of war in the middle ages , naval military press , volume I,p.578.

77 - Jean Joinvill's ; ,Chronicles of the Crusades,p.151.

78- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص231.

79- رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج3، ص، 263.

80-فارسكور: هي قرية من قرى مصر قرب دمياط القديمة، الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت (ت 1230 م/626هـ) معجم البلدان، مج4، ص288.

81- جديلة: إحدى قرى المنصورة ترجع تسميتها إلى قبيلة بني جديلة التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق، ثم استقر منهم الكثير في مصر بمنطقة تسمى باسمهم وهي الآن حي من أحياء المنصورة وقد كانت تسمى جودايلة كما كانت المنصورة تسمى جزيرة الورد، وقد أبلى أهل جديلة بلاءً حسناً ضد هجمات لويس التاسع عام 1250م .

82- قاسم، عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات (القاهرة، 2007م) ص9.

83- المقريزي: السلوك، ج1، ص447.

وافقت السلطانة شجر الدُّر على الخطط التي وضعها قادة المماليك البحرية، وأمر القائد بيبرس تنفيذ الخطة بإتقان وتأهب الجنود للهجوم، كما استغل أهل المدينة وأمرهم بالسكون التام ليطمئن الصليبيون للأمر.[84]

كما كان مخططاً لهم اقتحم الجيش الصليبي مدينة المنصورة، وكانت المدينة خالية من الجنود هادئة لاحراك فيها، فأندفع الصليبيون بحماس منقطع النظير، في اتجاه قصر السلطان، عندئذ خرج جيش المماليك وعامة السكان، وتناولهم بالسيوف من كل الاتجاهات.[85]

وكان للفلاحين والعوام دور مقابل مبلغ من المال في مباغتة الجيش الصليبي بكل ما يملكون من رماح ومقاليع وحجارة، كما قاموا بسد طرق العودة بالمتاريس والخشب، مما جعل عودة الصليبيين من حيث أتوا صعبة المنال، فألقى كثير منهم بأنفسهم في مياه النيل.[86]

ويذكر المقريزي [87]أنه قتل من الصليبيين في معركة المنصورة نحو ألف وخمسمائة، ويوافقه في هذا العدد Charles Oman[88] فيقول أن عدد قتلى الفرنسيين في تلك الموقعة ألف وخمسمائة فارس، أما ابن أيبك [89] فيذكر أن عدد القتلى من الفرنج ألفان وخمسمائة فارس.

كما يفيدنا Mathew[90] أن فرسان المعبد والإسبتارية قد أبيدوا في هذه المعركة ولم يبق منهم الا ثلاثة مقاتلين، اثنان من فرسان المعبد والثالث من الإسبتارية، وفي الوقت نفسه أُبيدت الفرقة الإنجليزية عن أخرها، كما قُتل الكونت روبرت دي ارتوا Robert d' Atois، ويؤكد كذلك Jonivill[91] مقتل الكونت ارتوا ومعه ثلاثمائة فارس وفقدت الداوية حوالي مائتين وثمانين فارساً، وفقد مقدم الداوية وليم أوف سوناك William of Sonnac عينه وفقد الأخرى في معركة فارسكور بعد ذلك بستين يوما وقُتل.

وفي الوقت نفسه كان الصليبيون ينشرون معلومات كاذبة في أوروبا، مدّعين أن الملك لويس التاسع، قد انتصر على المسلمين، وهزم سلطان مصر في معركة كبيرة، الا أنه تعرض للخيانة في وقت لاحق.[92]

84- نفسه.

85- ابن أيبك: كنز الدرر، ج 7 ، ص376.

86- ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص280.

87- المقريزي: السلوك، ج1، ص448.

88- Charles Oman William; History of the art of war in the middle ages v I p578.. 88

89- ابن أيبك: كنز الدرر ، ج7، ص377.

90-Mathew Peris; Louis IX's , Crusades , p .v.s.14.

91- Jean Joinvill's ; ,Chronicles of the Crusades,p.152.

92- Attack; The seventh crusade ,Egytion counter Asly p.49 ; The memoirs of the Lord Joinville,translated by wedgood, 1906,p.110.

بعد الهزيمة المنكرة التي تعرض لها الصليبيون، انهزمت البقية الباقية بما فيها الملك لويس التاسع إلى فارسكور، وتمت محاصرتهم لمدة شهرين تقريباً.

توران شاه ملكاً في مصر:

أما في المعسكر الإسلامي، فقد أعلنت السلطانة شجر الدُّر موت الملك الصالح وتم دفنه في مايو (1250م/ رجب 628هـ)، بمشاركة المماليك البحرية وأرباب الدولة [93]، وأغلقت الأسواق، وأقيم له العزاء لمدة ثلاثة أيام، وفي الوقت الذي كان الملك لويس التاسع محاصراً، أُعلن رسمياً تولي الملك الجديد توران شاه ابن الملك الصالح.[94]

بقدوم الملك توران شاه إلى مصر وتوليه مقاليد الحكم،وإدارة جيشه عمل على إجبار الملك لويس التاسع على الاستسلام.[95]

المعركة الفاصلة:

هاجم المسلمون الصليبيين المحاصرين، واستخدموا النار الإغريقية في تدمير سفن الصليبيين التي قدمت لإمدادهم وكذلك الرابضة قبالة دمياط، وتمكنوا من غنم ثمانين منها، كما أشعلوا النار في اثنين وثلاثين بين سفينة ومركب.[96]

أصبح الصليبيون يعانون الأمرين المرض والجوع،إذ حلت المجاعة بالصليبيين وانتشرت الأوبئة والأمراض في معسكرهم، مما جعل البعض منهم يستسلم طواعية للمسلمين كلما تمكنوا من ذلك خوفاً من قادتهم، إلا أن ملكهم لايزال يكابر ويراوغ ويعرض على المسلمين تسليم دمياط للمسلمين مقابل بيت المقدس ومناطق ساحل الشام، وهذا ماكان قد عرضه الملك الصالح على الملك لويس في فترة سابقة.[97]

ويضيف المقريزي واصفاً بسالة الملك لويس التاسع حيث يقول: أن لويس لم يشأ أن ينجوا بنفسه، بل قرر البقاء في مؤخرة جيشه كي يحمي أصحابه.[98]

تم رفض طلب لويس من قبل الملك توران شاه وقادة المماليك البحرية، فلم يجد الملك لويس التاسع إلا الهروب تحت جنح الظلام،[99] وتفطن المسلمون لحيلة لويس، وتمت مطاردتهم إلى فارسكور، وقد أورد المقريزي [100] ذلك بقوله: وأثناء انسحابهم

---

[93]- المقريزي: السلوك، ج1، ص464؛ أنظر أيضاً، الشيال: تاريخ مصر، ص116.

[94]- المقريزي: الخطط، ج4، ص ص210.211.

[95]- المقريزي: السلوك، ج1، ص ص449.450.

[96]- رانسيمان:تاريخ الحملات الصليبية، ج3، ص269.

[97]- رانسيمان:تاريخ الحملات الصليبية، ج3، ص269.

[98]- المقريزي:السلوك، ج1، ص365.

99- Jean Joinvill's; ,Chronicles of the Crusades,p.182

[100]- المقريزي:السلوك، ج1، ص366؛ القلقشندي: صبح الأعشى،ج3 ، ص475.

أي الصليبيين لحق بهم المماليك البحرية وبذلوا فيهم السيف وتمت مطاردة فلولهم الهاربة إلى فارسكور فقتلوا وأسروا منهم عدداً كبيراً؛ ويقدر المقريزي [101]عدد القتلى في موقعة فارسكور بثلاثين ألفاً.

وأضاف ابن واصل[102] واصفاً شجاعة وإقدام جيش المماليك البحرية بقيادة الفارس أقطاي وبيبرس البنقداري بأنهم "داوية الإسلام" لما لهم من قوة تشبه قوة وصلابة فرسان الداوية الصليبية وكان لاستخدام المماليك للمنجنيقات دور كبير في إلحاق خسائر جسيمة لقوات الصليبيين[103].

أيقن الصليبيون أنهم لاقبل لهم بالمجابهة والصمود أمام جيش المسلمين [104]، وأن بقاءهم يعني الفناء، فانهارت قواهم وتمكن المسلمون من القبض على ملكهم لويس التاسع [105] ومن بقي معه من أمرائه،في السادس من أبريل 1250م/ 25 ذو الحجة647هـ، وتم اقتيادهم إلى مدينة المنصورة، وسُجن بدار قاضي القضاة فخر الدين إبراهيم بن لقمان،[106] ووضعوا عليه خادماً شديد القوة والبطش اسمه صبيح الطواشي؛[107] أما الجنود الآخرين فقد تم إيداعهم في معتقلات خارج المدينة.

وبهذا فشلت الحملة الصليبية المعروفة بالسابعة، ويرجع الفضل في ذلك للدور الذي قامت به المماليك البحرية،[108] وأُطلق الحمام من المنصورة إلى القاهرة إعلاناً للنصر، ففرح أهل القاهرة وعمت الفرحة وأقيمت الأفراح وتزينت القاهرة بأبهى حللها.[109]

لم يهتم المسلمون بأمر دمياط معتبرين تحريرها أمراً مفروغاً منه متى أرادوا، وحاولوا الضغط على لويس وهو في الأسر أن يعمل معهم على سحب الصليبيين من الشام إلا أنه ذكّرهم بأن لاسلطان له عليهم، وإنما أمرهم بيد كونراد ابن الإمبراطور فريدريك الثاني.[110]

معاهدة الصلح ومغادرة الصليبيين لمصر:

وفي آخر الأمر عقد الملك توران شاه والملك الأسير لويس التاسع صلحاً، فرض فيه الملك توران شاه شروطه، منها دفع مائتي ألف دينار ذهب فوراً، ومائتي ألف دينار أخرى مقابل إطلاق الأسرى الصليبيين، وتسليم دمياط، واستمرار الصلح سارياً لمدة عشر سنوات، مع تعهد بعدم العودة إلى مصر مرة أخرى.

---

[101]- المقريزي: السلوك، ج1، ص357.

[102]- ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 370 .

[103]- حتى: تاريخ الغرب الإسلام، ج3، ص194.

[104]- Jean Joinvill's; ,Chronicles of the Crusades,p.p.79.80;King ;the knight .p.247.

[105]- Mathew Peris; Louis IX's , Crusades , p .v.s..246-250.

[106]- المقريزي: السلوك، ج1، ص455؛ أنظرأيضاً، رانسيمان، ج3، ص268.

[107]- ابن أيبك : كنز الدرر، ج7، ص384؛ أنظر أيضاً، عاشور، سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة ، 2010م) ج2، صفحات295-299 .

[108]- العبادي: دولة المماليك الأولى، ص110.

[109]- المقريزي: السلوك،ج1، ص 448.

[110]- Jean Joinvill's; ,Chronicles of the Crusades,p.184.

سمح الملك توران شاه ومماليكه البحرية للملك الفرنسي لويس التاسع بمغادرة مصر، بعد دفعه لنصف المبلغ مع تعهده لدفع الباقي فيما بعد، واستقر به المقام في الشام لمدة أربع سنوات من 1250-1254م، ليعود بعدها إلى فرنسا.[111]

انتصر المسلمون رغم منازعاتهم الداخلية وتوج بطرد الصليبيين، إلا أن المنازعات ما انفكت تطاردهم فبعودة الملك توران شاه بدأت بذور الخلاف بينه وبين مماليك والده البحرية، حيث استبدلهم بمماليك أتى بهم من الشرق، كما دب الخلاف بينه وبين شجر الدُّر التي حافظت على عرشه قبل وصوله من يافا وتنكر لجميلها، مما جعلها تهرب إلى القدس.[112]

كل ذلك جعل المماليك البحرية وشجر الدُّر يكرهونه، ويفكرون جلياً في التخلص منه، وفي يوم 3مايو 1250م/27 محرم648م، هاجموه في خيمته، وهرب إلى برجه الخشبي فقاموا بحرق البرج ليلقي بنفسه إلى نهر النيل، لاحقوه وتم قتله.

ومما تقدم تلاحظ أن المماليك البحرية لهم اليد الطولى في مصر، رغم سوء إدارة الملك للدولة، تلك الإدارة التي لم تدم أكثر من أربعين يوماً.

شجر الدُّر سلطانة مصر:

مات الملك توران شاه، ورأى المماليك البحرية ضرورة أن يحكم مصر وريث عن الأيوبيين، وخوفاً من أطماع أيوبي الشام في مصر، فأستقر رأيهم على أن تتولى شجر الدُّر الحكم، مع تكليف أتابك منهم وهو أيبك التركماني أحد أمرائهم.[113]

أُخذت البيعة للسلطانة في مايو 1250م/ صفر 648هـ،[114] فحكمت وأدارت أمور الدولة بشدة وحزم، وقد وصفها ابن إياس[115] فقال "امرأة صعبة الخلق، شديدة الغيرة، قوية البأس، ذات شهامة زائدة وحرمة وافرة، سكرانة من خمرة التيه والعجب" ويحق لها ذلك فهي التي قدمت أداءً رائعاً لإفشال حملة صليبية أعد لها أكبر رجالات أوروبا أيما إعداد .

الخاتمة:

- ظهرت فكرة الاستعانة بالمماليك في الشرق الأدنى منذ أيام العباسيين، ثم توالت من بعدهم، ناهيك عن استخدام الموالي والعبيد منذ زمن قديم، وكان هذا الاستخدام لفقد ثقة الحكام في أقاربهم وقادة جيوشهم، واهتم الأيوبيين بتربية مماليكهم، فأخذوهم صغاراً وأقاموا لهم معسكرات معزولة عن العالم، وأعدوهم إعداداً ثقافياً وعسكرياً، وفق قواعد صارمة، مماجعل منهم حسب كفاءتهم الشخصية جنوداً وحكاماً وسياسيين يتولون الوظائف العليا.
- وكان من الطبيعي أن يزداد نفوذ المماليك، بعد أن صار منهم الجيش والقادة، مع ضعف حكام الأقاليم، وأضحى منهم الولاة والوزراء وأرباب الدولة مستغلين تلك النزاعات التي حدثت في البيت الواحد (الأيوبيين) ولعل ماقام به الملك الصالح أيوب في

111- يوسف، جوزيف نسيم: لويس التاسع في الشرق الأوسط (د.ن، 1959م) ص 61.

112- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص371، العبادي: تاريخ دولة المماليك، ص110.

113- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص372 .

114- ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص373؛ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص192.

115-ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص 89.

استعانته بمماليكه الذين اهتم بهم أي اهتمام وأسكنهم جزيرة الروضة وسكن معهم، وأسماهم بالمماليك البحرية، وقدمهم على العرب والكرد.

- أبلى المماليك بلاءً حسناً في تثبيت حكم الملك الصالح أيوب،وأسس منهم جيشاً قوياً استطاع أن يواجه به أعتى حملة صليبية من حيث العدد والعدة وهي الحملة الصليبية السابعة،وأن يهزمهم ويأسر قائدهم الملك لويس التاسع ملك فرنسا وأمرائه، بعد أن قتل منهم الآلاف وطرد بقية فلولهم وألزمهم بفدية عظيمة؛ لإخلاء سبيل ملكهم ودفع خسائر اعتداءهم على مصر سنة 1250م/ 648هـ.
- تمكن المماليك البحرية من إسقاط حكم الأيوبيين وهزموا المغول في معركة عين جالوت 1260م/658هـ.
- أسس المماليك إمبراطورية إسلامية، كانت من أقوى وأغنى الإمبراطوريات في ذلك الوقت 1250-1517م في مصر وشمال أفريقيا وبلاد الشام والشرق الأدنى.

الملحق الأول [116]

كتاب الملك لويس التاسع إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب

" أما بعد فإنه لم يخف عنك أني أمين الأمة العيسوية، كما أني أقول أنك أمين الأمة المحمدية.

وإنه غير خاف عنك أن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا.

ونحن نسوقهم سوق البقر، ونقتل منهم الرجل، ونرمل النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلي منهم الديار، وقد أبديت لك مافيه الكفاية، وبذلت لك النصح إلى النهاية، فلو حلفت لي بكل الأيمان ودخلت على القسوس والرهبان، وحملت قدامي الشموع طاعة للصلبان، ماردني ذلك عن الوصول إليك، وقتلك في أعز البقاع عليك، فإن كانت البلاد لي، فهي هدية حصلت في يدي، وإن كانت البلاد لك والغلبة علي،فيدك العليا ممتدة إلي.

وقد عرّفتُك وحذرّتُك من عساكر قد حضرت في طاعتي، تملأ السهل والجبل، وعددهم كعدد الحصى، وهم مرسلون لك بأسياف القضا".

الملحق الثاني[117]

كتاب الملك الصالح نجم الدين أيوب رداً على رسالة الملك لويس التاسع

" أما بعد فإنه وصلني كتابك، وأنت تمدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك.فنحن أرباب السيوف وماقُتل منا قرن إلا جددناه، ولابغى علينا باغ إلا دمرناه. فلو رأت عيناك– أيها المغرور– حد سيوفنا وعِظَمَ حروبنا، وفتحنا منكم الحصون والسواحل، واخربنا منكم ديار الأواخر والأوائل، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ولابد أن تزل بك القدم، في يوم أوله لنا وآخره عليك، فهناك تسيء بك الظنون (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ)الشعراء227.

فإذا قرأت كتابي هذا، فكن فيه على أول سورة النحل: (أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ)، وكن على آخر سورة ص: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ }ص88.[118] ونعود إلى قول الله تبارك وتعالى، وهو صدق القائلين: (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) البقرة249[119]وإلى قول الحكماء" إن الباغي له مصرع "وبغيك يصرعك وإلى البلاء يقلبك، والسلام"

[116]– المقريزي: السلوك، ج1، ص437.

[117]– المقريزي: السلوك، ج1، ص437.138.

[118]القرآن الكريم: سورة ص آية 88 .

[119]القرآن الكريم: سورة البقرة آية249 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر العربية:

- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله الحمودي الحسيني الشريف (ت: 1166م/559هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة العربية،(القاهرة،2002م)مج1.
- ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد (ت: 1523م/930هـ) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: مدحت الجيار، الهئية المصرية العامة للكتاب(القاهرة،2007م)ج1 ،ج3.
- ابن أيبك، أبوبكر عبدالله الدواداري(ت: 1332م/732هـ): كنز الدرر وجامع الغرر، الدرر الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: سعيد عاشور المعهد الألماني للآثار الشرقية،ج7،(القاهرة، 1972م) ج7.
- البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر بن داود (ت: 892م/279هـ): فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف (بيروت،1987م) .
- بيبرس الدوادار، المنصوري الناصري الخطائي ركن الدين(ت: 1325م/ 725هـ): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد س. ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع (بيروت، 1998م) ج10.
- ابن تغري بردي، أبوالمحاسن جمال الدين بن يوسف (ت: 1470م/874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية (بيروت،1960م) ج3.
- ابن حزم الأندلسي، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت: 1064م/456 هـ): جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف (القاهرة، د.ت) ط5 .
- ابن خلدون،عبدالرحمن بن محمد (ت: 1405م/808هـ): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني، ج3 (بيروت،1985م) .
- الذهبي،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 1374م/748هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت،د.ت) .
- السخاوي، شمس الدين أبوالخير محمد بن عبدالرحمن (ت: 1497 م/902هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل (بيروت، 1992م) ط1، ج10.
- السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت: 1505م/911هـ): تاريخ الخلفاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المكتبة الوقفية، ط2 (قطر،2013م).

- ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت:1363م/764هـ): فوات الوفيات، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1973م) ط1.
- أبو شامة،عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي(ت: 1268م/930هـ): الذيل على الروضتين، تحقيق: عزت العطار بعنوان تراجم رجال القرنين السادس والسابع (القاهرة،1947م) .
- ابن شاهين الظاهري،خليل بن شاهين الظاهري غرس الدين المصري(ت: 1468م/873هـ): زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك، تحقيق: بول رافيس (باريس،1895م).
- ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم أبوالمحاسن بهاء الدين (ت: 1234م/632هـ): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين الأيوبي، مطبعة الآداب والمؤيد(القاهرة،1899م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 922م/310هـ):تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف(القاهرة، 1998م) ط2، ج1.
- ابن عبد الحكم، أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت: 871م/257هـ): فتوح مصر والمغرب، حققه وقدم له: علي محمد عمر مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة،2004م) .
- ابن عذارى، أبوعبدالله محمد بن محمد (ت: 1295م/ 694هـ): البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ،تحقيق: ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة (بيروت،1983م) ط3.
- ابن العسال، مفضل ابن أبي الفضائل (ت: 1358م/759هـ): النهج السديد والدر الفريد فيما بعد(تاريخ ابن العميد) تحقيق: محمد كمال الدين عزالدين علي السيد 1-2، دار سعد الدين للطباعة والنشر(دمشق، 2017م) ط1،ج1(658-709هـ).
- أبو الفداء، إسماعيل بن علي الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه(ت: 1331م/732هـ): المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ويحي سيد حسين، دار المعارف(القاهرة، دت) ط1.
- ابن الفرات، ناصرالدين محمد بن عبدالرحيم بن علي (ت: 1405م/807هـ):الطريق الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق ونجلاء عزالدين، المكتبة الأمريكية .
- القلقشندي، أبوالعباس أحمد بن علي (ت: 1418م/821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث الإسلامي (بيروت، 1987م) .
- ابن كثير،الحافظ عماد الدين ابوالعباس بن عمر (ت: 1372م/774هـ): البداية والنهاية في التاريخ، دار المعارف (بيروت،1977م) .
- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت: 1632م/1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: يوسف الطويل ومريم الطويل، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت) .

- المقريزي، تقي الدين أبوالعباس أحمد بن علي بن عبدالقادر(ت: 1441م/845هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة،1934م) ج1 .
- .....:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة الآداب (القاهرة، 1968م).
- ابن مماتي، أبو المكارم الأسعد بن المهذب بن زكريا (ت: 1209م/606هـ): كتاب قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، الجمعية الزراعية الملكية للنشر (القاهرة، 1943م) .
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت: 1311م/711هـ): معجم لسان العرب، دار صادر (بيروت، 1988م) الجزء الخامس .
- النسوي،محمد بن أحمد (ت: 1241م/639هـ):سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي (القاهرة، 1953م) .
- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت: 1318م/717هـ): تاريخ المغول، مج2،ج1، نقله إلى العربية: محمد موسى هنداوي،فؤاد عبدالمعطي الصياد ومحمد صادق نشأت، دار إحياء التراث(القاهرة ،1960م) .
- ابن واصل، أبو عبدالله محمد بن سالم بن ناصرالمازني(ت: 1298م/697هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق:جمال الدين الشيال وحسين محمد ربيع، المطبعة الأميرية (القاهرة ،1957م)ج4 .

ثانياً المراجع العربية :

- جحا، شفيق ومنير البعلبكي وعثمان بميج: التاريخ المصور، دار العلم (بيروت،1999م)ط19.
- جعيط، هشام:تأسيس الغرب الإسلامي، دار الطليعة (بيروت، 2004م) .
- حتى، فيليب وجرجي ادوارد وجبور جبرائيل: تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والتوزيع (بيروت، 1954م) ط2 .
- حسن، علي إبراهيم:دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عهد الناصرمحمد بوجه خاص، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة الإعماد (القاهرة، 1944م) .
- حمدي، حافظ أحمد:غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وأثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، دار الفكر العربي (القاهرة، 1949م) .
- خليل، نورالدين: شجر الدُّر وقاهرة الملوك ومنقذة مصر، دار الفتح للطباعة والنشر (الإسكندرية، 2005م) ط1 .
- خوري، إبراهيم:الهمداني صفة جزيرة العرب، دار المشرق (بيروت، 1993م) .
- زكي، عبدالرحمن: موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، مكتبة الأنجلو المصرية(القاهرة، 1987م).
- الششتاوي، محمد: متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، دار الأفاق العربية (القاهرة ،1999م) ط1.
- شيخاني، سمير: كواليس التاريخ، دار الجيل (بيروت،1992م) ج1، ط1 .

- الشيال، جمال الدين: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف (القاهرة، 1966م)ج2 .
- الصياد، فؤاد عبدالمعطي:المغول في التاريخ، دار النهضة (بيروت،1970م) .
- الضاحي، ساجد جبار:المختصر في أخبار كنانة مضر، الأهلية للنشر (عمان، 2008م).
- عاشور، سعيد عبدالفتاح: مصر في عهد المماليك البحرية، إدارة الثقافة بوزارة التعليم بمصر، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة،1959م)
- .....: الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 2010م) ج 2 .
- العبادي،احمد مختار: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية (بيروت،د. ت).
- عباده، عبدالفتاح: سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها (القاهرة،1913م) .
- قاسم، عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات (القاهرة، 2007م) .
- ماجد، عبدالمنعم:نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة للنظم السياسية، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1982م) .
- مجموعة من العلماء والباحثين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، 1999م .
- المصري،جميل عبدالله: الموالي موقف الدولة الأموية منهم، دار أم القرى للنشر(عمان، 1988م) ط1.
- يوسف، جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة (بيروت، 1981م) ط1 .
- ..... : لويس التاسع في الشرق الأوسط، (د.ن، 1959م) .

ثالثاً المراجع المعربة:

- رانسيمان، ستيفن: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نورالدين خليل (الإسكندرية، 1998م) الهيئة المصرية للكتاب، ط2،ج3 .

رابعاً المراجع الأجنبية:

-Bebjamin Kader; 'une installation faite pour durer" la Histoir a40.Mai 2017.

- Charles Oman William; History of the art of war in the middle ages , naval military press , volume I.

- Doris Behrens; Cairo of the Mamluks I.B.Tauris (London,New York, 2007).

-Jim Bradbury;The copetions the history of Dynasty Bloomsbury puplishing , 2007.

John Shertzer Hittcll; A History of culture 1874 .-

-King Edwin James;The Knights Hospitallers in the Holy Land, Forgotten Book,2017.

- Malcom Barber; The new knighthood, Ahistory of the order of the temple Cambridge university press,1994.

- Mathhew.Peris; English History : from the year 1235-1273;vol 1,p.trans,Giles.John allen .Paris.Andesite press (London.2017)II.

- Setton(K.M); the Papacy and Levant 1204-1571 the Thirteenth and Fourtenth Centuries the American Phiosophical Society 1972.

- Shackleton .Baily; Cecero , Epistulae ed familiars,Vol I .Cambridge university ,press.2004.

- Stanley Lane Poole; Ahistory of Egypt in the Middle ages ,1901.

- Thomas Philip .Ulrich Haarmann; the Mamluks in Egypthian and Syrian Politics and society ed by Michael Winter and Amalia Levanoni Cambridge press2002.

-Wolff and Harry W; Hazard editoruniversity ofWisconsin,press,Milwukee.1966.